@ 253 @ قال بالمعجزات الباهرة ، والآيات الظاهرة ، وينصره ، ويخذل من خالفه وعاداه ، فأي شهادة أكبر من هذه الشهادة ؟ وقوله : ! 2 2 ! أي : وأوحى ا إلي هذا القرآن ، لمنفعتكم ومصلحتكم ، لأنذركم به ، من العقاب الأليم . والنذارة ، إنما تكون بذكر ما ينذرهم به ، من الترغيب ، والترهيب ، وببيان الأعمال والأقوال ، الظاهرة والباطنة ، التي من قام بها ، فقد قبل النذارة . فهذا القرآن ، فيه النذارة لكم ، أيها المخاطبون ، وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة ، فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية . لما بين تعالى شهادته ، التي هي أكبر الشهادات على توحيده ، قال : قل لهؤلاء المعارضين لخبر ا ، والمكذبين لرسله : ! 2 2 ! أي : إن شهدوا ، فلا تشهد معهم . فوازن بين شهادة أصدق القائلين ، ورب العالمين ، وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة ، على توحيد ا ، وحده لا شريك له ، وشهادة أهل الشرك ، الذين مرجت عقولهم وأديانهم ، وفسدت آراؤهم وأخلاقهم ، وأضحكوا على أنفسهم العقلاء . بل خالفت شهادتهم فطرهم ، وتناقضت أقوالهم على إثبات أن مع ا آلهة أخرى . مع أنه لا يقوم على ما خالفوه أدنى شبهة ، فضلا عن الحجج . واختر لنفسك أي الشهادتين ، إن كنت تعقل . ونحن نختار لأنفسنا ، ما اختاره ا لنبيه ، الذي أمرنا ا بالاقتداء به فقال : ! 2 2 ! أي : منفرد ، لا يستحق العبودية والإلهية سواه ، كما أنه المنفرد بالخلق والتدبير . ^ (وإنني بريء مما تشركون) ^ به ، من الأوثان ، والأنداد ، وكل ما أشرك به مع ا . فهذا حقيقة التوحيد ، إثبات الإلهية ونفيها عما عداه . لما بين شهادته ، وشهادة رسوله على التوحيد ، وشهادة المشركين ، الذين لا علم لديهم على ضده ، ذكر أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى 2 ! . 2 ! أي : يعرفون صحة التوحيد ! 2 2 ! أي : لا شك عندهم فيه ، بوجه ، كما أنهم لا يشتبهون بأولادهم ، خصوصا البنين الملازمين في الغالب لآبائهم . ويحتمل أن الضمير ، عائد إلى الرسول محمد صلى ا عليه وسلم ، وأن أهل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته ، ولا يمترون بها ، لما عندهم من البشارات به ، ونعوته التي تنطبق عليه ، ولا تصلح لغيره . والمعنيان متلازمان . قوله : ! 2 2 ! أي : فوتوها ما خلقت له ، من الإيمان والتوحيد ، وحرموها الفضل من الملك المجيد ! 2 2 ! . فإذا لم يوجد الإيمان منهم ، فلا تسأل عن الخسار والشر ، الذي يحصل لهم . ! 2 2 ! أي : لا أعظم ظلما وعنادا ، ممن كان فيه أحد الوصفين ، فكيف لو اجتمعا ، افتراء الكذب على ا ، أو التكذيب بآياته ، التي جاءت بها المرسلون ، فإن هذا ، أظلم الناس ، والظالم لا يفلح أبدا . ويدخل في هذا ، كل من كذب

على ا ، بادعاء الشريك له والمعين وزعم أنه ينبغي أن يعبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولدا ، وكل من رد الحق الذي جاءت به الرسل أو من قام مقامهم . ! 2 2 ! يخبر تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة وأنهم يسألون ويوبخون فيقال لهم : ^ (أي شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) ^ أي : إن ا ليس له شريك ، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء ! 2 2 ! أي : لم يكن جوابهم حين يفتنون ويختبرون بذلك السؤال إلا إنكارهم لشركهم وحلفهم أنهم ما كانوا مشركين ! 2 2 ! متعجبا منهم ومن أحوالهم . ! 2 2 ! أي : كذبوا كذبا عاد بالخسار على أنفسهم وضرهم وا غاية الضرر ! 2 2 ! من الشركاء الذين زعموهم مع ا ، تعالى ا عن ذلك علوا كبيرا . ^ (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جآءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن ه ذآ إلا أساطير الأولين) ^ أي : ومن هؤلاء المشركين ، قوم يحملهم بعض الأوقات ، بعض الدواعي إلى الاستماع . ولكنه استماع خال من قصد الحق واتباعه ، ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع ، لعدم